أحمد بن عيسى بين أسرته وخدمه وأمواله وداره ، فعانوا كغيرهم من سكان البصرة فتناً وأخطاراً وارتباكاً ، فتساقطت الجثث في شوارع البصرة ، والتهبت النيران في بعض المنازل .

ارتبك الناس كما ارتبكت الدولة نفسها ، لأن الثائرين يهاجمونها في أعز مدنها قريباً من العاصمة (بغداد) وأعظم مرافئها ، ومصدر ثروتها .

كل ذلك بعد الآثار التي أوجدتها فتنة الزنج التي انتهت سنة ٢٧٠ هـ ، أثرت هذه الحوادث في الحياة والأمن في البصرة ، وفي الأفكار وفي النفوس ، وأجحفت بالنظام ، وأخرت الحركات الاقتصادية .

وما زال الناس يذكرون نهب الزنج البصرة وبعض المناطق في جنوب العراق . وتصور الامام ما سيحدث بعد ذلك من الفتن ، فهاجر عام ٣١٧ هـ تاركاً في البصرة أمواله وابنه محمداً ، وفيها العلماء والتجار وغيرهم ، ومعه ابنه عبد الله وغيره من بني أعمامه ، ودخل المدينة المنورة وبها أنصار آل البيت ، ولهم ميل شديد إلى آل علي ، وكراهة من يناوئهم .

ودخل القرامطة مكة المكرمة — والإمام في المدينة المنورة — وانتزعوا الحجر الأسود ، ودخل الامام أحمد مكة عام ٣١٨ هـ فحج ، ولكنه لم يستلم الحجر الأسود ، فاكتفى بمسح مكانه ، ثم توجه إلى الجنوب ، فدخل عسير واليمن ثم حضرموت فاستقر بها ، معرضاً عن المواقع الخصبة في اليمن ، واختار حضرموت التي باض وفرخ فيها مذهب الإباضية الخوارج . إذ نْ قصدها سعياً في ارشاد الناس إلى النهج القويم ، ولو لم يكن ذلك هدفه فلماذا رحل إلى تلك البقاع وليس فيها ما يغري من الأمن والولاء والأعوان ، بل كانت أقل بلدان الجزيرة ثروة .

ان في ذلك من العبرة ولطائف الحكمة والخبرة ما يجل عن الوصف ، ترك العراق لما فيه ، ورأى أن يأتي حضرموت لما فيها .